

يا أمة الإسلام.. إستعدي للدورة الرمضانية



«من طبيعة الدورات التي تعقد في شتى المجالات أن» الناس يستعدّون لها قبل إنعقادها بأيام، إذ يقدمون أوراق إعتمادهم فيها بعزم وإرادة ويتزوّدون لكل دورة بما يناسبها من عوامل النجاح والإفادة من عطائها المتجدد وحصادها المثمر.

وبعد أيام، تنعقد بدعوة من إدارتنا الدورة الرمضانية السنويّة لأُمَّة الإسلام، وأبشر بدعوة تعقد بأمرنا وبدعوة من إدارتنا ورسوله (يا أيُّها الذين آمنوا استَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال/ 24).. فاستجابتك وإستجابتك لرسوله قوّة تحيا بها النفس والطاقت والملكات ويحيا بها القلب كما تحيا الأرض الموات وكما تحيا الأعواد الذابلة ينزل عليها الماء فيرد إليها الحياة، فهيا بنا نستعد لدورة رمضان تزد الحياة إلى قلوبنا ونفوسنا، وتجدد عزمنا في مسيرة الحياة وإيماننا بالخالق جلّ في علاه.

استعدّوا لهذه الدورة بإخلاص النيّة والإصرار على التوبة والإنابة والتحوّل من حال إلى أحسن حال.. استعدّوا لرمضان بشعور النادم على ما فرّط في جنب إدارتنا، ولا تستعدّوا له بنيّة المصّرّ على تأجيل المعاصي إلى ما بعد رمضان، فما أسوأ أن نباشر الطاعات في موسم ونجعل للمعاصي في حياتنا مواسم أو أن نعبث إدارتنا في شهر لنجاهره بالعصيان في سائر الشهور.. لا تستعدّوا لرمضان بهذه النيّة ولا بهذا

الشعور، وإنما استعدوا لهلاله بعزم التائبين وسلوك المتقين (الذين يُنفِقُونَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكَاطِمِينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَإِذَا يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * والذينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا الظَّالِمُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران/ 134-135)، فلا تستقبل رمضان بالإصرار على المعصية في شوال، ولكن استقبله بالندم على خطيئة الأمس وبالإصرار على طهارة النفس في يومك وغدك.. واجعل من رمضان قطاراَّ يجتاز بك مواقف الركود والجمود في حياتك.. واجعله منطلقاَّ جديداً إلى حياة أفضل ترضي بها مولاك فيرضى عنك ويصلح لك أحوالك وأولادك وزوجك ويصلح ما بينك وبين العباد (إنَّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ الرِّحْمَ وَدًّا) (مريم/ 96).

بيننا وبين رمضان أيام وساعات قليلة، فلتقعد النيَّة من الآن على أن تكون في هذا الشهر من عباد الرحمن (وعبادُ الرَّحْمَنِ الذينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * والذينَ يَدْعُونَ لِلرَّبِّ بِهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * والذينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) (الفرقان/ 63-66).

فاستعد لرمضان بنيَّة الرقي إلى هذا المستوى الروحي والتبتل الذاتي، واجعل من كتاب الله نعم الجليس والأنيس في غدوك ورواحك، فما خاب مؤمن يكلِّم الله في الصلاة ويكلِّمه الله وحياءً بهذا الكتاب المبين، فمن أراد أن يكلِّم الله فليفرغ إلى الصلاة، ومن أراد أن يكلِّمه الله فليقرأ القرآن.. فاستعدوا لحمل مصاحفكم، فما كرَّم الله رمضان إلا من أجل القرآن، وما شرع لكم صيامه إلا تعظيماً لشهر نزل فيه القرآن (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) (البقرة/ 185)، فإن كنت من الذين وسع الله عليهم في الرِّزْق فإستعد للدورة الرمضانية بنيَّة الجهاد بأموالك في سبيل الله والباب مفتوح، فلا تبخل على نفسك برصيد ينفعك يوم يندم الناس على ما خلفوه ويفرحون بما قدموه (وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وما يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّدَ) (الليل/ 8-11).. فاستعدوا للصيام عن البخل والإفطار على الجود والعطاء وكثرة السخاء، واستقبلوا رمضان وأنتم تشعرون بأحوال الكادين والبسطاء، واستقبلوا هذا الشهر بسنايل الخير التي جعلها القرآن مثلاً لمضاعفة الأجر والثواب (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٍ وَالَّذِي يُضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ) (البقرة/ 261).. استعدوا للدورة الرمضانية بروح المؤمن الحريص على مواساة الضحايا والمجروحين، وكونوا أكثر حرصاً على إطعام الطعام في وقت غلت فيه الأسعار، وخاصم البسطاء دكان الجزار.. فاللهمَّ رحماك بعباد الله الصائمين عند الإفطار.. فاعقدوا النيَّة من الآن على أن تكونوا من الأبرار الذين قال الله فيهم: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى

حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الْإِنْسَانِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّمَا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا عَذِيبُوسَاءٍ قَمَطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ الْإِنْسَانُ شَرًّا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَدَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (الإنسان/ 8-12).

- كيف نستقبل رمضان؟

(يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ) (البقرة/ 183-184) هذا نداء من الله يتشرف به كل مؤمن ومؤمنة يستعد بكل طاقاته لإستقبال هلال رمضان.. فليتنا نستقبل شهرنا الكريم كما نستقبل ضيفا كريما وزائرا وفياء حبيبا إلى النفس، كلما رحل عنا واشتقنا إليه أطل علينا بأنفاسه الندية ونفحاته الزكية، وقد جرب الناس في حياتهم أنهم إذا أحسنوا استقبال الضيف وأكرموا وفادته ذكرهم بحسن السيرة في كل مكان وأثنى عليهم بالمحامد والمكارم في كل زمان وكان لهم لسانا شاهدا بكل خير.

وهكذا يفعل رمضان مع كل مسلم يلقيه بوجه طليق وصدر رحيب وقلب منيب.. يستقبله المؤمن بحب العاشق المشتاق إلى الجنة، وبفرحة اللهيف إلى النجاة من النار (فَمَنْ زُحِرَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) (آل عمران/ 185).

وليس من الإيمان أن يضيق صدرك بإستقبال شهرك خوفاً على شهوات ألفتها أو عادات ذميمة تعودتها.. فينا من يفرح بهلال الشهر الكريم فرحة الأُم الرؤوم بعودة وحيدها الغائب، وفينا من يتمنى أن يمتد الأجل بأيام شعبان حتى يطلع هلال شوال، فإذا بشر أحدهم بطلعة شهر الصيام رأيت في عينيه فجيعة الطفل الرضيع بهول الفطام.. هو فطام.. نعم، ولكنه فطام النفس من شهواتها، وفطام الأجساد من نزواتها، وشفاء القلوب من أمراضها (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) (المطففين/ 26).

لا تقل وأنت تستقبل الشهر الكريم إنَّ الجو شديد الحرارة فكيف نصوم. ولكن ردِّد قول مولاك (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) (التوبة/ 81).. لا تستقبل هلال رمضان وأنت ضعيف الإرادة، فلا مكان في عالم اليوم لصاحب إرادة مهزومة، وما مات مسلم أو مسلمة من شدة الصيام ولكن يموت الغارقون في الشهوات كالأنعام. أما أنت يا ابنة الإسلام، فاستقبلي شهر الصيام في ثياب الكاسيات المتعففات لا في ثياب الكاسيات العاريات (واتَّعَيْنَ الْإِنْسَانُ إِنْ كَانَ عَلَى كُفٍّ شَيْئًا شَهِيدًا) (الأحزاب/ 55).

- رمضان والتاجر

يأتي رمضان هذا العام والله أعلم بأحوال العباد.. فالأسعار وصلت بالناس إلى منطقة انعدام الوزن

للإسقاء والكادحين والموظفين في الأرض. وقد بلغت أيامها التاجر الأمين. فكن في عون إخوانك الصائمين، كن عوناً لهم على طاعة الله في الأسعار، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فالتخفيف عن العباد في شهر الطاعات طاعة، والرضا بالربح القليل تيسيراً على الصائمين عبادة وتقرُّب إلى الله بسنابل الخير، فقد جاء في الحديث: "تلقَّت الملائكة روح رجل ممَّن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا، قالوا: تذكَّر، قال: كنت أداين الناس فأمر فتياي أن ينظروا المعسر، ويتجوَّزوا عن الموسر، قال: قال الله عزَّ وجل: تجوَّزوا عنه".

وأُسال الله أن يتجاوز عن كل تاجر يستقبل رمضان وهو حريص على أن يتاجر مع الله تجارة لن تبور ليفوز بالصفقة الرابعة في قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الصف/ 10-11).

أمَّا الذين يستقبلون رمضان ليَجعلوه شهر استثمار لا شهر قناعة وإِنا بة واستغفار أو يجعلوه مجالاً للربح الوفير على حساب الكادح والفقير، فهؤلاء نضع أمامه مقالة أحد التابعين: "عجبت لمن غدا وراح في طلب الأرباح وهو مثل نفسه لا يربح أبداً". ▶

* أستاذ بجامعة الأزهر ووكيل كلية اللغة العربية الأسبق

المصدر: كتاب (القرآن وقضايا العصر)